Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لم تكن من تقاليد السجع الموروثة،[1] أى أن تلك القيم الدلالية والجمالية التى ذكرها "الحلبى" كانت مرتبطة بثقافة معينة، ونص مقدّس، اتخذ البلاغيون بنيته الشكلية معيارًا لتحديد الحد الأدنى والحد الأقصى من عدد الوحدات الخطيّة الداخلة فى المسافة طولا وقصرا.

ويقدّم "ابن الأثير" مجموعة من الإمكانات التعبيرية المتصلة بترتيب العبارات المسجوعة باعتبار الطول والقصر، فيذكر أربعة قوالب مكونة من فقرتين أو ثلاث[2] مع تقييم كل قالب منها.

القالب الأول: عبارة عن سجعات متساوية الطول لا تزيد ألفاظ إحداها على الأخرى.[3] ويمثل ابن الأثير لذلك القالب بقوله تعالى: ﴿وَالعَادِيَاتِ ضَبْحًا، فالموريَاتِ قَدْحًا، فَالمغيرَاتِ ضُبْحًا﴾.[4] وقوله: ﴿فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ، وأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾.[5] ويتبيّن من متابعة السجع القرآنى أن هذا القالب قد يمتد ليشمل أكثر من ثلاث عبارات متساوية الطول، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ، وَإِذَا الجِبَالُ سُيِّرَتْ، وَإِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ، وَإِذَا الْوُحُشُ حُشِرَتْ، وَإِذَا البِحَارُ سُجِّرَتْ، وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ وَإِذَا الموءُدَةُ سُئِلَتْ، بِأَىِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ، و وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ، وَإِذَا

---

(١) وكذلك، لم يكن تفاوت الأطوال من تقاليد السجع فى الإبداع الجاهلى، ولعلنا نتذكر قول الباقلانى فى هذا الشأن "متى اضطرب أحد مصراعى الكلام المسجّع وتفاوت كان خبطا" إعجاز القرآن، الباقلانى، ص ١١٣، وقد اتخذ الباقلانى من ذلك قاعدة تدعم رفضه لورود السجع فى القرآن.

(٢) الملاحظ أن ابن الأثير قد استنبط هذه القوالب من سجع القرآن، فكانت أغلب الأمثلة التى ساقها فى هذا الباب أمثلة قرآنية.

(٣) معلوم أن الأساس العروضى للسجع عند القدامى، بصفة عامة، هو اللفظة، ومع ذلك نلاحظ أن الأمثلة التى ضربها ابن الأثير لا تتساوى فى عدد الألفاظ فحسب، بل تتساوى كذلك فى عدد المقاطع الصوتية الداخلة فى تكوين كل آية، وهذا يكشف عن موهبة من مواهب ذلك البلاغى الذى أرى أنه كان يمتلك إحساسًا عميقًا بالإيقاع العددى.

(٤) سورة العاديات: ١-٣.

(٥) سورة الضحى: ٩- ١٠.